مجلـــــة العلـــــوم التربـــــوية والدراســـــات الإنســـــانيــــة
ISSN: 2709-0302 (online)

Humanities and Educational Sciences Journal
ISSN: 2617-5908 (print)

التحولات التركيبية مع (لما) في السياق دراسة نحوية(*)

DOI: https://doi.org/10.55074/hesj.vi33.812

د/ هدى بنت سليمان بن سعد السراء
أستاذ النحو والصرف المساعد بقسم اللغة العربية كلية الآداب
جامعة الأميرة نورة بنت عبد الرحمن - المملكة العربية السعودية
hsalsarra@pnu.edu.sa
dr.hodaai-sarra@hotmail.com

*) تاريخ تسليم البحث 2/3/2023 تاريخ قبوله للنشر 4/4/2023
*) موقع المجلة: http://hesj.org/ojs/index.php/hesj/index

التحولات التركيبية مع (لما) في السياق "دراسة نحوية"

د/ هدى بنت سليمان بن سعد السراء
أستاذ النحو والصرف المساعد بقسم اللغة العربية كلية الآداب
جامعة الأميرة نورة بنت عبد الرحمن - المملكة العربية السعودية

الملخص

توزعت معاني لما بين الحرفية والاسمية فجاءت نافية، وشرطية، وظرفية، واستثنائية، من حيث معناها، وجاءت عاملة جازمة، ومهملة غير عاملة من حيث وظيفتها، واختلف في شكلها بين التركيب والبساطة طلبا لتشاكل المعنى مع السياق والتركيب، لذا كان الهدف من هذه الدراسة الوقوف مع التحولات التركيبية التي صاحبت (لَمَّا) في مقامات الكلام المختلفة التي دعت إليها السياقات التي وقعت فيها مؤدية معاني من النفي، والاستثناء، والظرفية تبعا للتراكيب التي وردت فيها، لبيان ما يحدثه السياق والمعنى المراد منها من تحولات في التركيب والدلالة.

وقد رصدت الدراسة عددًا من الشواهد التي تمثل وجهًا من وجوه المعاني التي خرجت إليها (لَمَّا) في نماذج ممثلة من القرآن الكريم، وبعض الشواهد، والأمثلة العربية، وتحليلها للوصول إلى التحليل العلمي الذي يحقق هدف هذه الدراسة، بالكشف عما اتفق النحاة عليه من أوجه في دلالات (لما) التي خرجت إليها في التراكيب، والوقوف مع ما اختلفوا فيه منها لبيان العلة والسبب وتوضيح الراجح منها اعتمادا على قرينة السياق والمعنى المقصود في الشواهد والأمثلة.

الكلمات المفتاحية: السياق – التركيب – لما – الحرفية – الاسمية – الظرفية – الشرطية.

The structural transformations that accompanied (Lama) in the context

Dr. hoda bent solieman bin saad al sarra
Assistant Professor of Grammar and morphology
department of Arabic language college of literature princess
Nourah Bint Abdul Rahman university kingdom of Saudi Arabia

Abstract:

Meanings of 'Lama' are divided into literal and nominal. It came as negating, conditional, adverbial, and exceptional in regard to meaning. And it came as assertive and neglected as a non-operative in regard to function. It varies between simple and compound forms in order for the meaning to be consisted with context and sentence structure. The aim of this study is to observe the structural differences that accompanied "Lama" in different parts of speech according to context where 'Lama' occurred, performing negation, exception and adverbial meanings according to sentence structures. Also, to demonstrate the changes in structure and significance caused by the intended context and meaning.

The study monitored and analyzed a number of examples from the Holy Quran and Arab proverbs that demonstrate the different meanings of 'Lama'; to reach the scientific analysis that achieves the objective of this study. As well as to uncover what have grammarians agreed upon 'Lama's significance in various structures and explain the reasons of disagreement on other structures. And to clarify the more likely accurate significance based on presumptions of context and intended meaning in the studied examples.

Key words: Context - Structure - Lama - Literal - Nominal - Adverbial - Conditional.

المقدمة:

الحمد لله بجميل محامده حمدًا يوافي النعم، ويكافئ المزيد، أحمده ربي، وأستعينه، وأستغفره، وأصلي وأسلم على خير من نطق بالضاد نبينا محمد عليه وعلى آله وأصحابه صلاة وسلاما دائمين إلى يوم المعاد؛ أما بعد:

فإن قواعد النحو العربي ترسم الصورة المثالية للجملة العربية في بنيتها اللغوية العميقة، ليبني المتكلم العربي عباراته في شكلها الواقعي المسموع، أو المكتوب، أو المقروء متوخيًا تلك الصورة الافتراضية مؤلفًا بين علاقاتها لتتحقق البنية اللغوية السطحية التي قد لا تتطابق مع العميقة كل التطابق طلبًا لتميز في أداء معنى يقصده المتكلم، فتكون تلك المخالفة بالتقديم والتأخير حينا، وبالحذف حينا آخر، وبالمغايرة في شكل التراكيب في صور متعددة لتظهر تلك البنى الرائدة في التحول متضمنة ثراء دلاليًا يتجاوز حدود الصورة المثالية النمطية.

إن تلك التحولات التركيبية في سياقات الكلام المتنوعة تولد المعاني المختلفة، وتظهر الحروف والأدوات في هذه السياقات ذات أثر في إبراز قيمة القول الدلالية؛ فالمعنى الذي أراده المتكلم متأثرا بالسياق هو الذي منح القاعدة النحوية مساحة من التلون والتغير اتكاء على هذه الأداة(١).

وفي موروثنا العربي لفتات سياقية، ومعان فريدة استعملت فيها أدوات بعينها هي مساحة خصبة لرصد تلك البنى، وتحديد النظام الذي يحكم حركتها الداخلية، ويكشف عن فاعليتها في إنتاج المعنى(٢)، ومن تلك الأدوات التي ظهرت في بنى العربية متنقلة في معناها ووظيفتها (لَمَّا)؛ فهي أداة تختلف في سياقاتها البنية التركيبية، وما يلزم تضامه معها لتخرج في الدلالة المرادة حسب ما يقتضيه واقع الحال، ومقام الكلام، وقصد المتكلم.

والسياق من أهم القرائن في تخليص الخطاب، ورفعه من التعدد والاحتمال إلى القطع واليقين، وهو الذي يساعد على تحديد وظائف البنيات اللغوية، إذ يصرف السياق الأداة من الحرفية إلى الاسمية، ثم يلزمها في التركيب صورة أخرى تتضام فيها مع الاسم حينًا، ومع الفعل حينًا آخر ليكون التركيب المؤدي للمعنى رغم وحدة الأداة المستعملة في الكلام(٣).

وقد قصدت في هذه الدراسة الوقوف مع التحولات التركيبية مع (لَمَّا) في مقامات الكلام المختلفة التي دعت إليها السياقات التي وقعت فيها مؤدية معاني تختلف في سياق عن سياق آخر، وبيان ما يحدثه المعنى المراد منها من تحولات في التركيب والدلالة؛ إذ لم أقف على دراسة سابقة حول التحولات التركيبية في السياقات اللغوية مع (لما) – فيما وقفت عليه– سوى دراسة أنواع (لَمَّا) ومعانيها في القرآن الكريم في

(١) ينظر: التحولات التركيبية المصاحبة ل (ما): ٩٣.

(٢) ينظر: أثر السياق في النظام النحوي: ٥٣-٥٦.

(٣) ينظر: التوجيه السياقي للدلالة الاحتمالية في الخطاب القرآني: ١١١

ضوء تفسير الكشاف للزمخشري لنزار عطا الله أحمد صالح حيث كان معتمد عرضه لأنواعها من وجهة نظر الزمخشري.

وقد اعتمدت المنهج الوصفي التحليلي القائم على رصد ما يمثل وجها من وجوه المعاني التي خرجت إليها (لَمَّا) في نماذج ممثلة من القرآن الكريم، وبعض الشواهد والأمثلة العربية، وتحليلها، معتمدة على المصادر الأصيلة من كتب النحو في معاني الحروف، وكتب إعراب القرآن الكريم، والدراسات الحديثة التي تناولت موضوع السياق والأدوات النحوية؛ التي تمهد في معلوماتها للوصول إلى التحليل العلمي الذي يحقق هدف هذه الدراسة.

وقد استعرضت الموضوع في مقدمة ومبحثين؛ تضمنت المقدمة أهمية الموضوع وسبب اختياره، والهدف منه، ومنهج البحث فيه وخطته، أما المبحث الأول فهو بعنوان؛ السياق والتركيب والأداة متضمنا ثلاثة مطالب، يليه المبحث الثاني بعنوان؛ التحولات التركيبية مع (لما)، وفيه أربعة مطالب، تتلوه النتائج والتوصية، ثم ثبت المصادر والمراجع سائلة الله تعالى فيه القبول والإخلاص.

المبحث الأول: السياق والتركيب والأداة

المطلب الأول: السياق

"السياق هو أحد المباحث التي اهتم بها الدارسون في القديم والحديث، فهو أحد القرائن الكبرى التي تكشف عن أغراض ومقاصد المتكلم"(٤)، ويأتي السياق في معناه اللغوي مرتبطا بوضوح مع المعنى الاصطلاحي؛ إذ يقول ابن فارس: "السين والواو والقاف أصل يدل على حدو الشيء"(٥) والحدو، والسوق يتضمن معنى توجيه الشيء ليتتابع؛ فيقال: ساق الإبل، وغيرها يسوقها سوقًا وسياقًا،... وقد انساقت، وتساوقت الإبل تساوقًا إذا تتابعت"(٦).

والسياق في الاصطلاح: هو المحيط اللغوي الذي تقع فيه الوحدة سواء كانت كلمة، أو جملة في إطار من العناصر اللغوية، وغير اللغوية التي تحيط بهذا الخطاب فتوضح معناه، وتوجهه، وفي هذا الإطار فإن الكلمات لا يكتمل معناها إلا بالكلمة التي قبلها والتي بعدها، متأثرة بالبيئة غي اللغوية المحيطة(٧)، وتوضح ذلك مقولة دي سوسير: "والكلمة إذا وقعت في سياق ما لا تكتسب قيمتها إلا بفضل مقابلتها لما هو سابق لها ولما هو لاحق بها أو لكليهما معا"(٨).

---

(٤) التوجيه السياقي للدلالة الاحتمالية في الخطاب القرآني: ١١٠

(٥) مقاييس اللغة: ١١٧/٣

(٦) لسان العرب ١٠/ ١٦٦ (سوق)

(٧) ينظر قرينة السياق ودورها في التقعيد النحوي والتوجيه الإعرابي: ٣٣، السياق في فكر سيبويه:٤

(٨) التوجيه السياقي ١١٤

وعلى هذا التعريف يمكن تقسيم السياق إلى نوعين؛ هما:

١- السياق اللغوي أو سياق النص، ويتمثل في الأصوات، والكلمات، والجمل كما تتتابع في حدث كلامي معين، أو نص لغوي، وتتفاعل فيه العناصر الصرفية، والنحوية، التركيبية، والدلالية، والمعجمية لإنتاج الدلالات التي تضمنها التركيب(٩).

٢- السياق غير اللغوي ويسمى سياق الحال، أو سياق المقام، وهو البيئة المحيطة بالكلام من "عناصر غير لغوية ذات دخل كبير في تحديد المعنى، ويمثله العالم الخارجي عن اللغة بما له من صلة بالحدث اللغوي والنص، ويتمثل في الظروف الاجتماعية والنفسية والثقافية للمتكلم والمشتركين في الكلام أيضًا"(١٠)، وقد يكون هذا السياق لحظيًا عابرًا، وقد يكون ذا ديمومة مثل ما يتعلق بالعقائد، أو بالعرف والعادات الاجتماعية والتقاليد(١١).

المطلب الثاني: التركيب

أما التركيب: فمعناه في اللغة الجمع، وعرفًا هو مرادف التأليف(١٢)وفي المعاجم يقال: ركَّبَ الشيء بمعنى وضع بعضه على بعض(١٣)، و"المركب: ... مجموع الأشياء المتعددة"(١٤)، والمركب إما أن يكون تاما، ويسمى كلاما، وهو ما يفيد(١٥)، وعليه يكون التركيب النحوي: هو تلك المفردات المؤتلفة، والمنتظمة "في رصف الجملة بكل عناصرها ابتداء من الحرف وضبطه ومرورا بالكلمة وهيئتها، وانتهاء بأخذها الموقع المناسب في تركيب الجملة"(١٦) ولا يتحقق الكشف عما بين أفراد التركيب والدلالة، إلا بالسياق، وعلى إثره يكون ضبط التركيب بالحذف والزيادة والتعيين. فالعلاقة بين السياق والتركيب علاقة تلازم وتبادل(١٧)، لذا أشار بعض الباحثين إلى أن تحليل أي سلسلة لغوية لا يمكن أن يتم دون النظر إلى السياق وتفصيلاته في التحليل(١٨) إذ "السياق والعناصر الخارجة عن الإطار التركيبي للغة يساعدان على تحديد وظائف البنيات

(٩) ينظر: السياق في فكر سيبويه: ٤، السياق وتوجيه دلالة النص: ٢٤.

(١٠) قرينة السياق: ٣٤، وينظر السياق في فكر سيبويه: ٤، السياق وتوجيه دلالة النص: ٢٤.

(١١) ينظر: قرينة السياق: ٣٤، المنحى الوظيفي في تفسير التحرير والتنوير لابن عاشور: ١٢٩.

(١٢) ينظر: كشاف اصطلاحات الفنون: ١٨٤/٢.

(١٣) ينظر: المحكم ١٥/٧، لسان العرب ٤٣٢/١ (ركب).

(١٤) كشاف اصطلاحات الفنون: ١٨٤/٢.

(١٥) ينظر: السابق ١٨٦/٢.

(١٦) السياق في فكر سيبويه وعلاقته بالمكون التركيبي: ١٣.

(١٧) ينظر: السابق نفسه، التحولات التركيبية: ٩٤.

(١٨) ينظر: دور السياق في نظرية النحو العربي: ٢٠٨٠.

اللغوية"[١٩] فيحدد السياق معنى الأداة المناسبة في تركيب ما ويستبعد أداة أخرى، وإن وجدت المشابهة في الوظيفة أو المعنى، ويعمل كلمة ويهمل أخرى، وله دوره في تحديد دلالة الكلمة وموقعها الإعرابي مرتبطا بقصد المتكلم، فـــ(أو) التي تأتي لمعانٍ عدة منها التقسيم والتخيير والإباحة والإبهام والشك لا يمكن تحديد المعنى المراد منها في ســـياق ما من خلال لفظة (أو) مجردة من قرائن الحال بل يحدد معناها رجوعا إلى السياق[٢٠]؛ إذ هو الذي يمنحها معنى واحدا من بين كل معانيها المتعددة.

ويشير الباحثون إلى أن الأوائل من العلماء لم يغب عن أذهانهم أهمية السياق وأثره في المعنى والتركيب؛ ففي الدراسات الحديثة ما يظهر وعي سيبويه بأهمية السياق بأنواعه المختلفة اللغوي والديني والاجتماعي، ويظهر ذلك جليا في تقسيماته في تحليل التراكيب، أو في حكمه عليها بالحسن أو القبح[٢١]. إذ "قد يكون التركيب صحيحا على المستوى النحوي الوظيفي لكنه مرفوض من حيث الدلالة والعرف الاجتماعي"[٢٢]، وما "نجده حسنا، وفصيحا في سياق تواصلي معين يكون مرفوضا ومحالا في سياق آخر"[٢٣].

المطلب الثالث: الأداة

والأداة في اللغة هي الآلة؛ قال ابن منظور: "إداوة الشـــيء وأدواته آلته، ولكل ذي حرفة أداة، وهي آلته التي تقيم حرفته"[٢٤]، فهذا النص المعجمي يشير إلى أن الأداة هي آلة كل حرفة، والكلمات هي حرفة الكتابة فالأدوات تساوي الكلمات[٢٥]، وفي الاصطلاح عند التهانوي تضيق مساحة دلالة الأداة إلى أنها الحرف المقابل للاسم والفعل، ويقول السيوطي: "وأعني بالأدوات الحروف وما شاكلها من الأسماء والأفعال والظروف"[٢٦]، فالكلمات بجميع أقسامها عند السيوطي تساوي الأدوات عند ترددها بين النوعين، وفي هذا التعريف عموم يشير إلى أن الأداة هي تلك الكلمة التي لم يحكم عليها بنوع واحد في قسم من هذه الأقسام، بل ترددت بين أنواع الكلم في استعمالاتها اللغوية في سياقاتها المختلفة، لذا فإن مصطلح الأداة لم يحظ بالحد المانع الجامع لهذا التعدد الوظيفي لبعض مباني الكلمات، ولعدم وضوح المصطلح عند الأوائل

(١٩) المنحى الوظيفي في تفسير التحرير والتنوير: ١٣٠.

(٢٠) ينظر الخلاف النحوي في الأدوات: ٢٩٦.

(٢١) ينظر السياق في فكر سيبويه وعلاقته بالمكون التركيبي: ٦- ١٢.

(٢٢) السياق في فكر سيبويه: ٢١.

(٢٣) السابق نفسه.

(٢٤) لسان العرب: ١٤/٢٥.

(٢٥) ينظر: الخلاف النحوي في الأدوات: ٨.

(٢٦) الإتقان في علوم القرآن: ٢/١٦٦.

إلى أن بدا يتبين شيئا فشيئا[٢٧] فهو يستعمل دالا على بعض الكلمات التي حظيت بحظ من الحرفية وحظ من الاسمية، فيتشارك الحرف مع الاسم معناه، ويؤدي وظيفته في البنى التركيبية المختلفة، وهذا يدل على تعدد في المعنى الوظيفي للمبنى الواحد متفقا مع تلك العلاقات السياقية التي تربط أجزاء الكلام بعضه ببعض، وهذا الاحتمال والتعدد من الظواهر النحوية البينة التي بدت ظاهرة، حتى حاول بعض العلماء طرح حد يضبط هذا التردد، فرأى المالقي أن: "ما حَلَّ من الألفاظ المشكلة في الحرفية والاسمية محل الاسم حُكم عليه بالاسمية إلا إن قام دليل على حرفيته"[٢٨] ومع أن المالقي كان يجد بعض الأدوات تتردد فوضع هذا المعيار لضبط ترددها إلا أنه لم يقل باسمية (لَمَّا) وعدها حرفا متابعا في ذلك سيبويه.

وتقرر الدراسات الحديثة أن الأداة وسيلة تعبير عن العلاقات الداخلية بين أجزاء الجملة، وهي بهذا تقترب من معنى الأداة لدى الأوائل الذين تنبهوا إلى وجود ذلك التردد في بعض الكلمات، وكانوا على دراية بهذه الإشكالية التي تحكمها القرائن السياقية معتمدة على المعنى، فتتداخل أدوار الكلمات ووظائفها ليظهر مصطلح الأداة الذي يشمل حروف المعاني وترددها بين الحرفية وأقسام الكلمة الأخرى[٢٩].

المبحث الثاني: التحولات التركيبية مع (لَمَّا)

لما كان التحول التركيبي يتضمن تحولًا دلاليًا يعرف بمعرفة ترتيب مفردات السياق وتفاعلها بصيغها وحركة إعراب ما هو معرب منها ليظهر معنى الأداة التي تعطي السياق معناه وتأخذ معناها منه باعتبارها جزءًا من التركيب[٣٠] كان من المتعين الوقوف مع (لما) في الكلام العربي من الشواهد لتحديد تلك التحولات التي كانت فيها تبعا لسياقها الذي وردت فيه، فقد توزعت معانيها بين الحرفية والاسمية فجاءت نافية، وشرطية، وظرفية، واستثنائية من حيث معناها، وجاءت عاملة جازمة، ومهملة غير عاملة من حيث وظيفتها، واختلف في شكلها بين التركيب والبساطة طلبا لتشاكل المعنى مع السياق والتركيب[٣١].

المطلب الأول: لَمَّا الحرفية

وهي حرف رباعي مجمع على حرفيته عندما تقع جازمة للفعل المضارع، نافية تقلب المضارع إلى معنى المضي، مشابهة في هذا العمل (لم) الجازمة، إلا أنها تفترق عنها باستمرارية النفي مع توقع حدوثه، وهي

(٢٧) ينظر: الخلاف النحوي في الأدوات: ٨- ٢٠.

(٢٨) رصف المباني للمالقي: ٢٥٣.

(٢٩) ينظر: الخلاف النحوي في الأدوات: ٢٠.

(٣٠) ينظر: التحولات التركيبية: ٩٤.

(٣١) ينظر: الأزهية في علم الحروف: ١٩٧- ١٩٩، جواهر الأدب ٤٢٣-٤٢٥، الجنى الداني ٥٩٢- ٥٩٧، مغني اللبيب: ٣٠٧/١- ٣١٢.

كثيرة في كتاب الله تعالى، ومثاله قوله عز وجل: ﴿قَالَتِ ٱلۡأَعۡرَابُ ءَامَنَّاۖ قُل لَّمۡ تُؤۡمِنُواْ وَلَٰكِن قُولُوٓاْ أَسۡلَمۡنَا وَلَمَّا يَدۡخُلِ ٱلۡإِيمَٰنُ فِي قُلُوبِكُمۡۖ﴾ (الحجرات: ١٤) ففي هذا السياق الحواري يبين الله تعالى للأعراب أن الإيمان ليس مجرد التزام بالأعمال والأقوال المشروعة، ولكنه أعمق من هذا، ففي بداية التصديق بالله ورسوله تبقى مدة زمنية حتى يتمكن الإيمان، وقد جاء استعمال (لما) في هذا السياق دلالة على توقع دخول الإيمان في قلوبهم، "فيكون المعنى ولما يدخل بعد ويتوقع دخوله"[٣٢]، وتتميز (لما) بأنها آكد في قلب المضارع إلى الماضي من (لم)، فيكون المعنى: ما دخل الإيمان القلوب بعد، مفيدة بطول مدة استمرار النفي إلى حين الإخبار[٣٣] إذ يستمر النفي بها لازدياد معناها بزيادة في مبناها بالميم والألف (ما) عن (لم)[٣٤]، وجاءت (لَمَّا) في تراكيب عملها جازمة مع ميزة في الاستعمال بجواز حذف مجزومها؛ لوضوح معناه في تلك السياقات، وقد ثبت حذفه في كلام العرب، قال الشاعر:

فجئت قبورهم بدأ ولما فناديت القبور فلم يجبنه[٣٥]

فالمعنى الذي قصده الشاعر عند وقوفه على القبور مخاطبًا مَنْ فيها، أنه لم يكن سيدًا بعد لما كانوا أحياء، ولكنه في اللحظة الي ناداهم فيها كان قد وصل إلى السيادة، فالفعل المجزوم بـ(لما)، وتقديره: ولما أكن سيدا، محذوف لوضوح معناه من السياق.

وتأتي (لما) حرفية دون خلاف على حرفيتها بمعنى (إلا) دالة على الاستثناء، وهي قليلة الدور في كلام العرب؛ فقد حكى اللغويون[٣٦]: ومثلوا: فلم أر من القوم لَمَّا زيدا، بمعنى: إلا زيدا، وقال أبو حيان: "وكون (لَمَّا) بمعنى (إلا) نقله الخليل وسيبويه والكسائي، وكون العرب خصصت مجيئها ببعض التراكيب لا يقدح، ولا يلزم اطرادها في باب الاستثناء، فكم من شيء خص بتركيب دون ما أشبهه"[٣٧] وجاءت قراءة ابن مسعود[٣٨] لقوله تعالى: ﴿وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٞ مَّعۡلُومٞ﴾ (الصافات: ١٦٤) بإبدال (إلا) بـ(لَمَّا)؛ فقرأ ﴿وإِنْ مِنَّا لَمَّا له مقام معلوم﴾ فهذا نص على أن (لَمَّا) بمعنى (إلا)، ويشترط لاستقامة تقديرها ب(إلا) أن تكون في سياق قسم، أو نفي دون قسم، وتليها الأسماء والأفعال، ويكون الماضي مستقبل المعنى؛ فمن

(٣٢) الفريد: ٣٤٢/٤.

(٣٣) ينظر: الكناش: ٢٢.

(٣٤) ينظر: الكناش: ٢٢.

(٣٥) لم ينسب إلى قائل في مغني اللبيب ٣٠٩.

(٣٦) ينظر: رصف المباني ٣٥٣، الحنى الداني ٥٩٤.

(٣٧) البحر المحيط: ٢٦٨/٥.

(٣٨) ينظر: رصف المباني ٣٥٣.

مجيئها للقسم قول عمر بن الخطاب لأبي موسى الأشعري عندما لحن كاتب له: "عزمت عليك لَمَّا ضربت كاتبك سوطًا"[٣٩]، وقوله: "عزمت عليك هو من قسم الملوك كانوا يعظمون عزائم الأمر"[٤٠] ونشدتك الله لما فعلت كذا، وفي القسم عند الطلب قوة دلالة ترتقي عن مجرد النفي الذي يقترن بالخبر، والمستحلف عليه بعد القسم مُصَدَّر بـ(إلا) أو (لما) بمعنى الاستثناء[٤١]، ولم تُذْكَر (لما) في أدوات الاستثناء التي تقوم مقام (إلا)، ولكنها اكتسبت هذا المعنى من السياق في هذه التراكيب، وهذا من الدلالات الضمنية التي ينتجها السياق.

ومن مجيئها بعد النفي الخالي من القسم ما ورد في كتاب الله تعالى في قراءة ابن عامر وعاصم وحمزة والكسائي بتخفيف (إنْ) نافية، ورفع (كلٌ)، وتشديد (لما)[٤٢] في قوله تعالى: ﴿وَإِن كُلّ لَّمَّا جَمِيع لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ﴾ (يس: ٣٢)، وفي قراءة عاصم وحمزة[٤٣] على الوجه السابق في قوله تعالى: ﴿وَإِن كُلُّ ذَٰلِكَ لَمَّا مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَٱلْءَاخِرَةُ عِندَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ﴾ (الزخرف: ٣٥)، وكذلك قرأ ابن عامر وعاصم وحمزة[٤٤] في قوله تعالى: ﴿إِن كُلُّ نَفْس لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظ﴾ (الطارق: ٤)، فهذه الآيات على القراءة الواردة فيها تمثل المستوى الصوتي من مستويات السياق الذي له فاعلية في الكشف عن المعنى المراد، وتحديد نوع الأداة، وذلك بضميمة مكون التركيب اللغوي؛ فلتحديد نوع (لَمَّا) لا بد من النظر إلى الأداة (إن) التي تحتمل أن تكون للنفي، أو تكون المخففة من الثقيلة المراد بها التوكيد، ولتوجيه التركيب الوجهة الصحيحة نحوا ومعنى ينظر إلى ما يحتمله اللفظ من اعتبارات بضميمة المعنى المراد، وإعراب الكلمات في هذا السياق القرآني، فيقوي هنا اعتبار (إن) في هذا السياق نافية بمعنى (ما) وليست هي النافية الجازمة بمعنى (لم)؛ إذ يختل السياق بتقدير الفعل بعدها، كما في قول المالقي: "وأما قوله تعالى: ﴿وَإِن كُلّ لَّمَّا جَمِيع لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ﴾، فلا يصح تقدير (يكون) لـ(لَمَّا) لبقائها بلا خبر، ويختل السياق، وإنما يصح تقدير (لَمَّا) بمعنى (إلا)"[٤٥]، ولا يقوى هنا اعتبار (إن) مخففة من الثقيلة لعدم وجود ما يقويها في التركيب مثل وجود لام في الخبر، وعليه جاء تخريج هذه الآيات القرآنية على أن (لما) وقعت فيها بمعنى (إلا)؛ وذلك على قراءة من شَدَّدَ

(٣٩) شرح الكافية: ١٦٤٥/٣، شرح المفصل ٩٤/٢.

(٤٠) شرح المفصل: ٩٤/٢.

(٤١) ينظر: شرح الكافية الشافية: ٨٦٩/٢.

(٤٢) ينظر: حجة القراءات لابن زنجلة: ٥٩٧.

(٤٣) ينظر: حجة القراءات لابن زنجلة: ٦٤٩.

(٤٤) ينظر: السابق: ٧٥٨.

(٤٥) رصف المباني: ٣٥٢.

الميم في جميعها، وخَفَّفَ إِنْ، وتقدير (إِنْ) مخففة من الثقيلة يخرجها من باب الاستثنائية إلى باب الجازمة التي حذف الفعل بعدها، وقراءة (لما) مخففة تخرج عن الباب الذي نتحدث عن، ويظهر لنا من نص المالقي اعتماده على السياق لدعم ما يقرره في بيان نوع (لَمَّا) في جيع مستوياته.

وما سبق يثبت أهمية السياق بعناصره المختلفة في رفع الاحتمالات الممكنة(٤٦)، والإبقاء على معنى واحد للأداة ينسجم مع المراد، فتحديد نوع الأداة في هذه السياقات القرآنية مرتبط بصحة المعنى الذي أشار إليه المفسرون بالإضافة إلى مكونات التركيب؛ فأداة الجزم مع إفادة معنى النفي واستمراره وتوقع الحدوث لا تكون إلا بضميمة الفعل المضارع تاليا لـ(لما)، فإذا تحول التركيب إلى سياق نفي بأداة من أدواته تحول المعنى الدلالي لـ(لما) وأصبحت أداة غير عاملة تفيد الاستثناء كـ(إلا)، ولذا كان الاحتكام إلى السياق منبئا عن معنى الأداة وتحولها في التركيب من نوع إلى نوع(٤٧)، فهذه الدلالة تأتي ضمنية تجنى من موقعها في السياق بتفاعل عناصر التركيب السابقة واللاحقة أو كليهما معا.

المطلب الثاني: لما الاسمية

وهذا النوع يمنحه السياق لـ(لما) في جو تركيب معين إذا دلت على مجرد الوقت كما في قول الراجز:(٤٨)

إني لأرجو محرزًا أن ينفعا إياي لما صرت شيخًا قلعًا

فـ(لما) في هذا السياق أفادت الظرفية الزمانية فأشبهت (حين)، وهذا هو الأقل فيها، وقد جاءت في كتاب الله تعالى مقرونة بالفاء حينا؛ كما في: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِي ٱسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّآ أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُۥ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَٰتٍ لَّا يُبْصِرُونَ﴾ (البقرة: ١٧)، ومقرونة بالواو حينا آخر؛ في قوله تعالى: ﴿ولما برزوا لجالوت وجنوده قالوا ربنا أفرغ علينا صبرا﴾ (البقرة: ١٥٠)، وتأتي بدونهما: ومنها قوله تعالى: ﴿بَلْ كَذَّبُواْ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ فَهُمْ فِيٓ أَمْرٍ مَّرِيجٍ﴾ (ق:٥)، ومنها قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُواْ وَكَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ﴾ (السجدة:٢٤)، أي حينما صبروا أفادت الظرفية ولم تفد الشرط.

أما الشرطية فهي الأكثر، ومن خصائصها حال كونها شرطية أن تكون في تركيب يتضمن فعلين ماضيين، هما فعل الشرط وجوابه، ويشترط في هذين الفعلين أن يكونا خالصي المضي؛ أي ماضيين لفظًا ومعنى، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى ٱلْغَضَبُ أَخَذَ ٱلْأَلْوَاحَ﴾ (الأعراف: ١٥٤)؛

(٤٦) ينظر: التوجيه السياقي: ١١٧.

(٤٧) ينظر: السياق في فكر سيبويه وعلاقته بالمكون التركيبي: ص١٨.

(٤٨) البيت مذكور دون نسبة في شرح التسهيل لابن مالك: ٤/ ١٠٢ ٤ شرح الكافية الشافية ٣/ ١٦٤٤، لسان العرب ٨/ ٢٩١ (قلع).

فـ(سكت) فعل الشرط و(أخذ) جوابه وكلاهما ماضيان، وكذلك قوله تعالى: ﴿فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ (الزخرف: ٥٥)، (آسفونا) فعل الشرط و(انتقمنا) جوابه وكلاهما فعل ماض، وهي على كلا الرأيين تلزم الدخول على الفعل الماضي لفظًا ومعنى، وقد يأتي جواب (لما) غير ماض فيأتي جملة اسمية مع إذا المفاجأة؛ كقوله تعالى: ﴿فَلَمَّآ أَحَسُّواْ بَأْسَنَآ إِذَا هُم مِّنْهَا يَرْكُضُونَ﴾ (الأنبياء:١٢)، وقد يأتي مقرونا بالفاء[٤٩] كما في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ فَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ﴾ (لقمان:٣٢)، وهذا النوع وهي الظرفية الشرطية قد وقع فيها الخلاف بين النحاة وافترقوا فيه إلى فريقين:

فريق يرى أن (لَمَّا) حرف لم تخرج عن حرفيتها وإن تغير معناها؛ فهي حرف دال على وجوب شيء لوجوب غيره، وهذا مذهب سيبويه[٥٠] ومن تبعه مثل ابن مالك[٥١] وابن خروف وابن هشام[٥٢] والمرادي[٥٣].

وفريق يرى أنها ظرف بمعنى (حين)، أو (إذ)، وفيها معنى الشرط، وأن العامل فيها جوابها، وهذا مذهب أبي الفارسي[٥٤] وتبعه الهروي[٥٥]، وأبو البقاء[٥٦]، كما في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّآ أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُۥ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِى ظُلُمَٰتٍ لَّا يُبْصِرُونَ﴾ (البقرة: ١٧)، (لَمَّا) في الآية ظرف زمان، وكذا في كل موضع وقع بعدها الماضي، وقال الهمداني: ﴿فَلَمَّآ أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُۥ﴾ (لَمَّا) هنا اسم للوقت بمعنى (حين) ويليها الفعل الماضي، فإذا وليها الفعل الماضي اقتضت جوابا، وجوابها عاملها تقول: لَمَّا جئتَ جئتُ"[٥٧].

ونقل المالقي أن الأكثرين في هذا النوع على أن (لَمَّا) حرفية لا اسمية؛ وعلل بأن الحرفية في (لَمَّا) ظاهرة لبنائها، ولم يعتد بالمعنى الذي أفادته (لَمَّا) في سياقات الشرط من الدلالة على معنى الحين، فرأى أن دلالتها على الظرفية مثل (حين) لا يُسَوِّغ لتقديرها بالاسم لما في تقديرها بالاسم من تكلف،[٥٨] إذ ليس فيها شيء من علامات الأسماء[٥٩].

---

(٤٩) ينظر: شرح التسهيل ٤/١٠١- ١٠٢.

(٥٠) ينظر: الكتاب ٤/ ٢٣٤.

(٥١) ينظر: شرح التسهيل لابن مالك: ٤/١٠٢، شرح الكافية الشافية: ٣/١٦٤٤.

(٥٢) ينظر: مغني اللبيب ٣٠٩.

(٥٣) ينظر: الجنى الداني: ٥٩٤- ٥٦٩.

(٥٤) ينظر: الإيضاح العضدي ٣١٩.

(٥٥) ينظر: الأزهية: ١٩٩.

(٥٦) ينظر: التبيان ١/٣٣.

(٥٧) الفريد: ١/٢٣١.

(٥٨) ينظر: رصف المباني: ٣٥٤، البحر المحيط: ٥/٢٦٧.

(٥٩) ينظر الجنى الداني ٥٩٤- ٥٩٥.

واحتج من تابع سيبويه بالسياق ومعنى الكلمة في هذا المقام في قوله تعالى: ﴿وَتِلْكَ ٱلْقُرَىٰٓ أَهْلَكْنَٰهُمْ لَمَّا ظَلَمُواْ وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِدا﴾ (الكهف: ٥٩)، فذهب إلى أن معنى (لَمَّا) في هذا السياق هو السبب لا الحين؛ إذ المعنى المراد أنهم هلكوا بسبب ظلمهم، لا أنهم أهلكوا حين ظلمهم؛ لأن الهلاك متأخر عنه، فمقام الحال هنا كان حجة لهم، بالإضافة إلى المعنى الذي دلت عليه (لَمَّا) في سياق الشرط، حيث قرنها سيبويه ب(لو) في دلالتها الشرطية؛ إذ (لما) تدل على الوجوب للوجوب بينما تدل نظيرتها (لو) على امتناع لامتناع[٦٠]، فجعلوه دليلا على بقاء (لما) على حرفيتها، وقد صحح ابن مالك هذا الاحتجاج والتحليل النحوي للسياق موافقا قول سيبويه[٦١].

ثم رَدَّ هذا الفريق على أبي علي ومن تبعه ممن قالوا بظرفية (لما)، وأن جوابها عاملها، بأنها أجيبت ب(ما) النافية و(إذا) الفجائية، في قول الله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَآءَهُمْ نَذِير مَّا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا﴾ (فاطر: ٤٢)، وقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾ (العنكبوت: ٦٥)، و(ما) النافية و(إذا) الفجائية لا يعمل ما بعدهما فيما قبلهما فانتفى أن تكون ظرفًا[٦٢]، وأنه يلزم على القول بأن عاملها جوابها أن يجوز أن يقال: لما قمت أمس أحسنت إليك اليوم، والواقع في اليوم لا يكون في الأمس[٦٣].

والتحقيق في هذا يكون بالنظر في سياق الآيات لتبين فاعليته في توجيه هذه الدلالة الاحتمالية التي ظهرت في الخلاف في توجيه نوع (لَمَّا) بين الفريقين، والنظر في سوابق الكلمة ولواحقها، للكشف عما بينها من علاقات داخلية في هذا الخطاب القرآني ليرشدنا ويوجهنا إلى المعنى المقصود.

والوقوف مع سياقات الآيات التي تضمنت (لما) فيها معنى الشرط _وهي كثيرة في كتاب الله تعالى _ قد أشربت معنى الحين، وهذا مما يناسب القص القرآني، فالله تعالى وتبارك في هذه الآيات يحكي أحداثا تضمنت الشرط، ولكنها وقعت في حينٍ مضى دلت عليه (لما)، كما أن (إذ) دلت على قصص القرآن التي مضت ولم تتضمن شرطا، وهذا في نظري يقوي رأي أبي علي بالقول باسمية (لما) في جميع مواضعها التي تضمنت فيها معنى الوقت سواء كان مجردًا من الشرطية، أو دالًا على الشرطية كذلك، فمعنى الحين ظاهر في شواهد (لَمَّا) إذا وليها الفعل الماضي، خاصة في المواضع التي جاءت فيها لبيان مجرد الوقت دون

(٦٠) ينظر: رصف المباني للمالقي ٣٥١-٣٥٥، الجنى الداني ٥٩٥.

(٦١) ينظر: شرح التسهيل لابن مالك: ١٠٢/٤، شرح الكافية الشافية ١٦٤٤/٣.

(٦٢) ينظر: الجنى الداني ٥٩٥.

(٦٣) ينظر: الجنى الداني ٥٩٥، مغني اللبيب ٣٠٩.

جواب وجزاء، وهذا في قول ابن مالك[٦٤]، ويضاف إلى ذلك أن الحمل على المعنى، وإعطاء بعض الألفاظ أحكام بعضها الآخر إذا تضمنت معناه هو من سنن العربية[٦٥].

المطلب الثالث: السياق المشكل مع لما

ومما أشكل توجيهه إعرابيا من مواضع (لما) ما وقع في قوله تعالى: ﴿إِنَّ كُلًّا لَّمَّا لَيُوَفِّيَنَّهُمْ رَبُّكَ أَعْمَٰلَهُمْۚ إِنَّهُۥ بِمَا يَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ (هود: ١١١)، حيث تعددت توجيهات النحاة[٦٦] لهذه الكلمة لتعذر استقامة معنى الكلام مع ما ظهر من إعراب للكلمات قبلها وبعدها، وهذا مرده إلى عدم ظهور الحركة على (لما) لكونها مبنية، وذلك في القراءة التي وردت فيها (لما) مشددة، وهي قراءة عاصم وحمزة وابن عامر؛ لأن قراءة (لما) مخففة تخرجنا عن حدود البحث.

فلما لم يستقيم المعنى والإعراب بتقدير (لما) على معنى من معانيها السابقة على قراءة تشديد (لما) ونصب (كلًا) فلم يصح تقديرها بمعنى (إلا) ولا بمعنى (الحين) ولا بمعنى (لم)، جاءت التأويلات على وجوه عدة: مرة بإخراج (لما) من هذا الباب بتقديرها مركبة من (لَمِنْ وما) والتقدير: وإن كلا لمِنْ خلق أو لمن بشر والله ليوفينهم ربك جزاء ما صدر منهم، و(مِنْ) هنا حرف، فجرى فيها قلب لأجل الإدغام وحذف، فصارت (ما) هي الخبر وهي نكرة بمعنى (مَنْ).

وجاء التأويل على وجه آخر بتركيبها من (لمْ وما) و(مَنْ) هنا اسم، والتقدير: وإن كلًا لخلقٌ أو لبشرٌ والله ليوفينهم أعمالهم، وقد ضعف أبو حيان هذين التخريجين، وقال: "هذان الوجهان ضعيفان جدا؛ لم يعهد حذف نون (مِنْ) ولا حذف نون (مَنْ) إلا في الشعر إذا لقيت لام التعريف أو شبهها"[٦٧].

وجاء التقدير على وجه آخر اعتمادًا على المعنى المعجمي باعتبار (لما) مصدرًا، والتقدير: وإنَّ كلًا ملمومين بمعنى مجموعين أو وإن كلًا جميعًا؛ إذ قيل: بأن (لما) مصدر من لَمَّ يُلَمُّ لما إذا جُمِعَ، وأجري الوصل مجرى الوقف بحذف التنوين، وهذا الوجه —كما ذكر القيسي– فيه بُعْدٌ؛ لأن إجراء الوصل مجرى الوقف لا يكون إلا في الشعر[٦٨]، وقال أبو حيان: "ولا يعرف بناء فَعْلَى من اللَّمِّ"[٦٩].

---

(٦٤) ينظر: شرح الكافية الشافية ١٦٤٤/٣.

(٦٥) ينظر: مغني اللبيب: ٨٠٤.

(٦٦) نظر مشكل إعراب القرآن لمكي القيسي: ٣٧٤/١-٣٧٦، الفريد٦٧١/٢- ٦٧٢، رصف المباني ٣٥٢- ٣٥٣، البحر المحيط ٢٦٦/٥.

(٦٧) البحر المحيط ٢٦٧/٥.

(٦٨) ينظر مشكل إعراب القرآن لمكي القيسي: ٣٧٥/١.

(٦٩) البحر المحيط: ٢٦٧/٥.

وقيل: أن (لَمَّا) في الآية بمعنى (إلا)، وهذا التأويل لا يستقيم مع تشديد (إنَّ)، ونصب (كُلًّا) لأن (لَمَّا) لم تسبق بنفي، ولا طلب، والنفي والطلب هو السياق الذي تقع فيه (إلا) فلما لم يكن امتنع وقوعها استثنائية، وقيل: يصح تقدير (إلا) في موضع (لَمَّا) بتقدير فعل ينتصب (كُل) به بعد (إنْ)، والتقدير وإن ترى كُلًّا أو شبه ذلك، ويصح أن تكون (لَمَّا) من باب الحرفية الجازمة، وتكون (إنْ) مخففة من الثقيلة وكُلًّا اسمها، ويكون الفعل بعد (لَمَّا) محذوفًا.

أما قراءة أُبَيّ(٧٠) بتخفيف (إنْ) ورفع (كل) وتشديد (لما) فيستقيم معها تقدير معنى (إلا)؛ إذ المعنى: وما كلٌ إلا والله ليوفينهم، وعلى هذا جاء تقدير أبي حيان على أن (كل) مبتدأ، والخبر هو الجملة القسمية بعده، وجوابها الجملة التي بعد (لَمَّا)، ولا التفات إلى قول من أنكر(٧١) مجيء (لَمَّا) بمعنى (إلا)(٧٢)، وهذه القراءة هي التي يستقيم عليها دخول (لَمَّا) في أنواع الأداة التي يدور الحديث عنها(٧٣).

وقد جاء في توجيهات (لما) في هذه الآية أنها هي الجازمة، وأضمروا بعدها فعلا فيكون من باب ما حذف بعده الفعل للعلم به، قال أبو حيان: وهو سائغ فصيح ... وإن كانت النفوس تستبعده من جهة أن مثله لم يقع في القرآن"(٧٤).

ونلحظ فيما سبق أن السياق اللغوي المتمثل في القراءة القرآنية أدى إلى تعدد التوجيهات النحوية لتحديد نوع الأداة في هذا المكون التركيبي، إلا أنها معظمها قد خالفت الأصول اللغوية، ولم يستقم منها إلا وجه واحد هو تقدير حذف الفعل لتكون بمعنى (إلا) أو تكون هي النافية الجازمة، وهذا الرأي الأخير استبعده أبو حيان لعدم انسجامه مع روح النصوص القرآنية.

المطلب الرابع: زيادة (أن) بعد (لما)

تزاد (أن) في بعض السياقات التي ترد فيها (لَمَّا) شرطية(٧٥)، وذلك في ثلاثة مواضع في القرآن الكريم؛ كما في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّآ أَن جَآءَ ٱلْبَشِيرُ أَلْقَىٰهُ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ فَٱرْتَدَّ بَصِيرًا﴾ (يوسف: ٩٦)، وقوله تعالى ﴿فَلَمَّآ أَنْ أَرَادَ أَن يَبْطِشَ بِٱلَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لَّهُمَا قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ أَتُرِيدُ أَن تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًۢا بِٱلْأَمْسِ﴾ (القصص: ١٩)، وقوله تعالى: ﴿ وَلَمَّآ أَن جَآءَتْ رُسُلُنَا لُوطا سِيٓءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا﴾ (العنكبوت: ٣٣).

(٧٠) ينظر: السابق: ٢٦٦/٥.

(٧١) ينظر: معاني القرآن للفراء: ٢٩/٢.

(٧٢) ينظر: البحر المحيط: ٢٦٨/٥.

(٧٣) ينظر: البحر المحيط ٢٦٦/٥، الفريد ٦٧١/٢- ٦٧٢.

(٧٤) البحر المحيط ٢٦٨/٥.

(٧٥) ينظر: جواهر الأدب ١٩٦- ١٩٧.

أما بقية مواضع (لَمَّا) في السياق القرآني فجاءت فيها دون زيادة (أَنْ)، وقد أشار النحاة إلى تضمن السياق زيادة معنى أوجبتها زيادة (أن) في السياق؛ إذ كل زيادة فيه لها مزيد فائدة معنوية أو لفظية، فذهب الأكثرون إلى أن (أن) في هذه المواضع زائدة للتوكيد شأنها في ذلك شأن باقي الزوائد، فهي تمنح المعنى تقوية وتأكيدا، وذكر بعض النحاة معنى آخر يزاد مع التوكيد؛ وهو التسبيب والتعقيب، إذ دخلت (أن) في سورة العنكبوت في قصة لوط عليه السلام، ولم تدخل في قصة إبراهيم عليه السلام في السورة نفسها في قوله تعالى: :﴿وَلَمَّا جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ﴾ (العنكبوت: ٣١) تنبيهًا وتأكيدًا على أن الإساءة كانت تعقب المجيء فهي مؤكدة في قصة لوط للاتصال واللزوم، أما في قصة إبراهيم فجاء الجواب: :﴿ قَالُوٓاْ إِنَّا مُهْلِكُوٓاْ أَهْلِ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِۖ إِنَّ أَهْلَهَا كَانُواْ ظَٰلِمِينَ﴾ فكانت البشرى فاصلة بين المجي والإخبار بإهلاك قوم لوط، وقد ظهر لبس في نقل تتمة الآية في قصة إبراهيم عليه السلام بمثيلتها في سورة هود[٧٦] نتج عنه عدم انسياق في المعنى المراد من زيادة (أن) عند بعض النحاة، وقد أوضحه ابن هشام في كتابه[٧٧]، وقال الزمخشري: "(أن) صلة أكدت وجود الفعلين مترتبا أحدهما على الآخر في وقتين متجاورين لا فاصل بينهما كأنهما وجدا في جزء واحد من الزمان كأنه قيل: لما أحس بمجيئهم فاجأته المساءة من غير ريث خيفة عليهم"[٧٨] وإجماع النحويين على "أن الزائد يؤكد به معنى ما جيء به لتوكيده و(لَمَّا) تفيد وقوع الفعل الثاني عقب الأول وترتبه عليه فالحرف الزائد يؤكد ذلك"[٧٩].

وذكر ابن قيم الجوزية أن زيادة (أَنْ) هنا جاءت "صيانة للمعنى العارض في (لَمَّا) وهو الظرفية، فأوضح أن في (لَمَّا) معنى "ربط فعل بفعل على جهة التسبيب أو التعقيب، فإذا كان التسبيب حسن إدخال (أن) بعدها زائدة إشعارا بمعنى المفعول من أجله"[٨٠].

وأوضح الزركشي في كتابه البرهان تعليل القول بزيادة (أن) بعد (لما) الشرطية؛ فقال: "وأما (أَنْ) المفتوحة فتزاد بعد (لَمَّا) الظرفية،... وإنما حكموا بزيادتها؛ لأن (لَمَّا) ظرف زمان، ومعناها وجود الشيء لوجود غيره، وظروف الزمان غير المتمكنة لا تضاف إلى المفرد، و(أَنْ) المفتوحة تجعل الفعل بعدها في تأويل المفرد، فلم تبق (لَمَّا) مضافة إلى الجمل؛ فلذلك حكموا بزيادتها"[٨١] فمعتمد الحكم على (أن) بالزيادة في

(٧٦) الآية: ٦٩.

(٧٧) ينظر مغني اللبيب: ٤٣- ٤٤.

(٧٨) الكشاف: ١٩٠/٣.

(٧٩) مغني اللبيب: ٤٤.

(٨٠) بدائع الفوائد: ٩٣/١.

(٨١) البرهان في علوم القرآن ٧٦/٣.

هذا التركيب مع (لَمَّا) هو عدم صحة إضافتها إلى الجمل في الأصول النحوية، بالإضافة إلى ما تمنحه هذه الزيادة من إشعار بتحقق وقوع الشرط وتوكيده، وأنه سبب في وقوع الجواب مع التعقيب.

النتائج:

وبعد دراسة التحولات التركيبية التي وقعت لما فيها وسياقاتها نخلص إلى أهم النتائج، وهي:

- لما أداة نحوية تعدد معناها الوظيفي تبعا للسياقات التي وردت فيها وتنقلت معانيها بين الحرفية والاسمية.
- للسياق أثره في رفع الاحتمالات الممكنة في تراكيب الكلام مع (لما) بالكشف عن معناها وتحديد نوعها.
- تقدير معنى الظرفية عند وقوعها متضمنة معنى الشرط يناسب القص القرآني للحوادث الماضية.
- زيادة (أن) مع (لما) في السياق القرآني جاءت في ثلاثة مواضع في كتاب الله تعالى لا غير.
- أفادت (أن) الزائدة في السياق مع لما معنى التسبيب والتعقيب إضافة إلى معنى التوكيد الذي تضيفه الحروف الزائدة في الكلام.

التوصية:

في السياقات القرآنية مما يتعلق بظواهر العربية وتحليل مفرداتها وأدواتها مساحة خصبة لدراسات جادة تثري المكتبة العربية.

المصادر والمراجع:

ابن السراج، محمد بن سهل. (١٩٨٥م). الأصول، تحقيق: عبد الحسين الفتلي. ط١، مؤسسة الرسالة: بيروت.

ابن زنجلة، عبد الرحمن بن محمد. (١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م). حجة القراءات. تحقيق: سعيد الأفغاني. ط٤، مؤسسة الرسالة: بيروت.

ابن فارس، أحمد بن زكريا. (١٩٧٩م). مقاييس اللغة. دراسة وتحقيق: عبد السلام هارون، دار الفكر للطباعة والنشر.

ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر. (د. ت). بدائع الفوائد. (ط. د) بيروت، لبنان: دار الكتاب العربي.

ابن مالك، محمد بن عبد الله. (١٩٨٢م). شرح الكافية الشافية. تحقيق: عبد المنعم هريدي. ط١، طبعة دار المأمون للتراث.

ابن مالك، محمد بن عبد الله. (١٩٩٠م). شرح التسهيل. تحقيق: عبد الرحمن السيد، محمد بدوي المختون. ط١، مطبعة هجر للطباعة والنشر: مصر.

ابن منظور، محمد بن مكرم. (د. ت). لسان العرب. دار صادر: لبنان.

ابن هشـــام، عبد الله بن يوســـف. (١٤٣٤هـ/٢٠١٣م). مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد. (ط. د)، المكتبة العصرية للطباعة والنشر: بيروت.

ابن يعيش، يعيش بن علي. (د. ت). شرح المفصل. القاهرة، طبعة مكتبة المتنبي: مصر.

الإربلي، علاء الـدين بن علي. (١٤١٢هـ/ ١٩٩١م). جواهر الأدب في معرفـة كلام العرب (معجم للحروف العربية)، تحقيق: إميل بديع يعقوب. ط١، دار النفائس: بيروت، لبنان.

التهانوي، محمد علي بن علي. (١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م). كشـاف اصـطلاحات الفنون. تحقيق: أحمد حسن بسج. ط١، بيروت، دار الكتب العلمية: لبنان.

الزركشـــي، محمد بن عبد الله. (د. ت). البرهان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضـــل إبراهيم. ط٢، دار المعرفة: بيروت لبنان.

الزمخشري، محمود بن عمر. (د. ت). الكشـاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل. (ط. د)، طبعة دار المعرفة: بيروت، لبنان.

السـمين الحلبي، أحمد بن يوسـف. (١٩٨٦م). الدر المصـون في علوم الكتاب المكنون. تحقيق: أحمد محمد الخراط. ط١، طبعة دار القلم: دمشق، سوريا.

السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر. (٢٠٠٨م). الإتقان في علوم القرآن، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، تعليق: مصطفى شيخ مصطفى. ط١، طبعة مؤسسة الرسالة: دمشق، سوريا.

الشـهري، نوح بن يحيى. (١٤٤١هـ/ ٢٠٢٠م). أثر السـياق في النظام النحوي. الطبعة: الأولى. دار طيبة الخضراء للنشر والتوزيع: مكة المكرمة.

الطاهر، شـارف. (٢٠٠٥/٢٠٠٦م). المنحى الوظيفي في تفسـير التحرير والتنوير لابن عاشـور. رسـالة ماجسـتير تخصـص: الدراسـات اللغوية النظرية إشـراف: أحمد شـامية، كلية الآداب واللغات، جامعة الجزائر.

العكبري، عبد الله بن الحســين. (١٩٨٧م). التبيان في إعراب القرآن، تحقيق: علي محمد البجاوي. ط٢، مطبعة دار الجيل: بيروت، لبنان.

العموش، خلود إبراهيم. (٢٠٠٥م). دور الســـياق في نظرية النحو العربي قراءة جديدة. بحث مقدم لمؤتمر مناهج التجديد في العلوم الإسـلامية والعربية، رابطة الجامعات الإسـلامية وجامعة المنيا. مصـر، كلية دار العلوم، ٣، (٢-٦٣).

الفارسي، الحسن بن أحمد. (١٣٨٩هـ/١٩٦٩م). الإيضاح العضدي، تحقيق: حسن شاذلي فرهود. ط١، (م. د).

الفراء، يحي بن زياد. (١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م). معاني القرآن. ط٣، عالم الكتب: بيروت.
القيسي، مكي بن أبي طالب. (١٤٠٥هـ). مشكل إعراب القرآن، تحقيق: حاتم صالح الضامن. ط٢، مؤسسة الرسالة: بيروت.
المالقي، أحمد عبد النور. (١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م). رصف المباني في شرح حروف المعاني، تحقيق: أحمد محمد الخراط. ط٣، دار القلم: دمشق.
المرادي، الحسن بن قاسم. (١٤١٣هـ/١٩٩٢م). الجنى الداني في حروف المعاني، تحقيق: فخر الدين قباوة، محمد نديم فاضل. ط١، دار الكتب العلمية: بيروت لبنان.
الهروي، علي بن محمد. (١٤٠٢هـ/١٩٨٢م). الأزهية في علم الحروف، تحقيق: عبد المعين الملوحي. ط٢، دمشق، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق.
الهمداني، حسين بن أبي العز. (١٩٩١م). الفريد في إعراب القرآن المجيد، تحقيق: محمد حسن النمر. ط١، طبعة دار الثقافة: الدوحة، قطر.
أبو الفداء، إسماعيل بن الأفضل. (١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م). كتاب الكناش في فني النحو والصرف، تحقيق: رياض بن حسن الخوام. ط١، المكتبة العصرية للطباعة والنشر: بيروت.
أبو حيان الأندلسي، محمد بن يوسف. (١٩٨٣م). تفسير البحر المحيط. ط٢، طبعة دار الفكر للطباعة والنشر: بيروت.
با ريان، عبد القادر. (٢٠١٩م). التوجيه السياقي للدلالة الاحتمالية في الخطاب القرآني. جامعة زيان عاشور، الجلفة، الجزائر، مجلة دراسات في العلوم الإنسانية والاجتماعية، ٢(١٥)، (١١٠-١٢٧).
بلبع، عيد. (١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م). السياق وتوجيه دلالة النص مقدمة في نظرية البلاغة النبوية. ط١، دار الكتب المصرية: مصر.
بلحاف، عامر فائل محمد. (١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م). الخلاف النحوي في الأدوات. رسالة بحث دكتوراه، إشراف: حنا جميل حداد، جامعة اليرموك، إربد، الأردن.
حسن، عرفة عبد المقصود عامر. السياق في فكر سيبويه وعلاقته بالمكون التركيبي. شبكة الألوكة.
حمادة، فؤاد رمضان محمد. (٢٠٢٠م). التحولات التركيبية المصاحبة لـ(ما) الكافة المهيئة دراسة في الوظيفة التركيبية للأداة. مجلة جامعة القدس المفتوحة للبحوث الإنسانية والاجتماعية. (٥٣)، حزيران، (٩٢- ١٠٤).
سلام، إيهاب عبد الحميد عبد الصادق. (٢٠١٦م). قرينة السياق ودورها في التقعيد النحوي والتوجيه الإعرابي في كتاب سيبويه. رسالة لنيل درجة الدكتوراه تحت إشراف: أميرة يوسف، حسنة الزهار، قسم اللغة العربية، كلية البنات للآداب والعلوم والتربية، جامعة عين شمس، شبكة الألوكة.

سيبويه، عمرو بن عثمان بن قنبر. (١٩٨٣م) كتاب سيبويه، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون. ط٣، طبعة عالم الكتب.

وهران، عمرو خاطر. (١٤٣٩هـ/ ٢٠١٨م). أثر قصد المتكلم في تحول التركيب دراسة نحوية دلالية. حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية. كلية الآداب، جامعة طيبة، الحولية، المملكة العربية السعودية.